**مختصر من كتاب**

مقاصد الشريعة الإسلامية

**في فكر الإمام حسن البنا(رحمه الله )**

**تأليف**

د. رجب أبو مليح محمد

**الأستاذ المشارك بكلية الشريعة جامعة الإنسانية الإسلامية العالمية**

**قدح ( دار الأمان) ماليزيا**

**وكيل الجامعة لشئون الدراسات العليا والبحث العلمي(سابقا)**

مقدمة

هل للإمام البنا ـ رحمه الله ـ دور واضح وملموس في علم المقاصد ؟ وإن كان له دور فلماذا لم يذكر ضمن علماء المقاصد كغيره من العلماء أمثال العلامة ابن عاشور مثلا وغيره من العلماء السابقين والتالين له ؟!

وهل كتب كتابا أو مقالة يتحدث فيها عن علم المقاصد حتى نعده من علماء المقاصد؟!

تزعم هذه الدراسة أن للإمام البنا ـ رحمه الله ـ دورا بارزا وملموسا، بل متميزا في هذا العلم، وعلى القارىء أن يتحلى بالصبر حتى يقف على ذلك بنفسه من خلال هذا الكتاب.

أما لماذا لم يذكر الإمام البنا ضمن علماء المقاصد على الرغم من الثورة الفكرية والفقهية حول علم المقاصد ـ خاصة في الثلاثين سنة الماضية ـ فهذا أمر يطول شرحه، وربما يحتاج لبحث خاص.

غير أني ألمحت إلي شيء من هذا في الفصل الثاني من هذه الدراسة، وحاصله أن حركية الرجل وعداء السلطان له، وتأسيسه جماعة ما زالت في خصومات سياسية حادة بين النظام إلى الآن كانت السبب الرئيس في عدم ظهوره بوصفه عالما شرعيا وفقيها مقاصديا متميزا!

إن كثيرا من المثقفين، وبعض المتخصصين ينظر إلى الإمام البنا على أنه زعيم سياسي أسس جماعة تعارض السلطان، وقتل بسبب ذلك، ولا ينظر إلى هذا الرجل على أنه في الأصل والتكوين عالم وفقيه في الأساس، والسياسة جزء من مشروعه الفكري.

ونحن- الشرقيين وإن كنا مسلمين- في الغالب لا نفرق بين العالم باعتباره ثروة قومية يستفاد من أفكاره وعلومه ومشروعاته خاصة التي تفيد المجتمع في النواحي العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها؛ وبين خلافنا معه في الرأي حتى لو كانت مساحة الخلاف قليلة ([[1]](#footnote-1)).

وما زالت مقولة ( الحكمة ضالة المؤمن ) ومقولة ( نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ) مقولات نظرية في الغالب الأعم لم تفعّل على المستوى العملي.

وأحسب أن الإمام البنا وغيره من العلماء سواء في جانب العلوم النظرية الاجتماعية، أو في جانب العلوم العملية لو نشأ عند غيرنا من غير المسلمين لأحسنوا الإفادة منه على الرغم من خلافهم العقدي معه، لكنهم يطبقون هذه المقاولات تطبيقا عمليا حتى لو لم يسمعوها أو يعرفوها نظريا.

أما لماذا لم يكتب الإمام البنا ـ رسالة أو كتابا ـ يعرف فيه بعلم المقاصد؛ فهذا كما لا يخفى على طالب علم - فضلا عن المتخصص - أن ثمة فرقا واضحا بين من يتحدث عن اللفظ أو المصطلح؛ ومن يعيش له وبه حتى لو لم يرد على لسانه.

فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لم يتحدثوا عن المقاصد، وكذلك فقهاء التابعين، والأئمة الأربعة وغيرهم، ولا يشك دارس في أن فهمهم للمقاصد، واستيعابهم له، وعملهم به؛ كان يفوق ما نحن عليه الآن.

وقد قُدِمت أطروحات علمية عن الإمام مالك وابن تيمية وغيرهم ودورهم في علم المقاصد حتى لو لم يرد هذا اللفظ على ألسنتهم.

وأحسب أن الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ يختلف عن غيره من العلماء الذين عاصروه أو جاءوا بعده أو قبله في أنه لم يقف بالفكرة عند حد التنظير والتأصيل النظري، لكنه خطا بها خطوات فساحا نحو التطبيق العملي. صحيح أن أفكاره العملية لم يكتب الله لها النجاح والاستمرار إلى يومنا هذا، بخلاف أفكاره النظرية، ولهذا أسباب لا يمكننا الوقوف عندها الآن، لكنه يكفيه شرف السبق والتطبيق، ويبقى على أتباعه خاصة، والمسلمين عامة الإفادة من هذه المحاولات، والامتداد بها الامتداد المناسب في الواقع العملي.

فقد عاش الإمام البنا في فترة هامة من تاريخ أمتنا العربية والإسلامية، كانت الأمة فيها على مفترق طرق بعد سقوط الخلافة الإسلامية سقوطا رسميا سنة1924م وإن كانت سقطت سقوطا عمليا وفعليا قبل هذا بسنوات .

ومن هنا كانت الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يرشدها ويذكرها بانتمائها المناسب، وبهويتها الإسلامية حتى لاتضل الطريق فتفقد الوعي والإدراك وتتفرق بها السبل.

وقد قام الإمام حسن البنا مع من سبقه من المصلحين أمثال الإمام محمد عبده، والأفغاني، ورشيد رضا - رحمهم الله -بدور فاعل في تذكير الأمة بهويتها، والعودة بها إلى المنابع الصافية من القرآن الكريم والسنة والمطهرة.

يقول الإمام البنا : في رسالة هل نحن قوم عمليون : « وقد شاءت لنا الظروف أن ننشأ في هذا الجيل الذي تتزاحم الأمم فيه بالمناكب، وتتنازع البقاء أشد التنازع، وتكون الغلبة دائماً للقوي السابق ...

وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه نتائج أغاليط الماضي ونتجرع مرارتها، وأن يكون رأب الصدع وجبر الكسر، وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا، واسترداد عزتنا ومجدنا، وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا ...

وشاءت لن الظروف كذلك أن نخوض لجة عهد الانتقال الأهوج، حيث تلعب العواصف الفكرية والتيارات النفسية والأهواء الشخصية بالأفراد وبالأمم وبالحكومات وبالهيئات وبالعالم كله، وحيث يتبلبل الفكر وتضطرب النفس ويقف الربان في وسط اللجة يتلمس الطريق، ويتحسس السبيل وقد اشتبهت عليه الأعلام، وانطمست أمامه الصور، ووقف على رأس كل طريق داع يدعو إليه في ليل دامس معتكر وظلمات بعضها فوق بعض، حتى لا تجد كلمة تعبر بها عن نفسية الأمم في مثل هذا العهد أفضل من "الفوضى" ...

كذلك شاءت لنا ظروفنا أن نواجه كل ذلك وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية .

وإن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا، وتنهض لمهمة كمهمتنا، وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها، لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأماني. وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف وصراع قوي شديد : بين الحق والباطل، وبين النافع والضار، وبين صاحب الحق وغاصبه، وسالك الطريق وناكبه، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين. وأن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد، والجهد هو التعب والعناء، وليس مع الجهاد راحه حتى يضع النضال أوزاره وعند الصباح يحمد القوم السرى»([[2]](#footnote-2)).

غير أن البنا ـ رحمه الله ـ كما ذكرنا قبلُ؛ قدم ملامح مشروع متكامل على المستوى النظري والمستوى العملي، وهو ما نحاول الاقتراب منه والتعرف إليه من خلال هذه الدراسة . والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وقد قسمت هذا الدراسة إلى ستة فصول وخاتمة وتوصيات.

الفصل الأول: تعريف المقاصد ومراعاة الشيخ حسن البنا لها بصفة عامة.

الفصل الثاني : مقصد حفظ الدين عند الشيخ حسن البنا، وكيف اعتنى به؟

الفصل الثالث: مقصد حفظ النفس عند الشيخ حسن البنا، وكيف اعتنى به؟

الفصل الرابع: مقصد حفظ العقل عند الشيخ حسن البنا، وكيف اعتنى به؟

الفصل الخامس: مقصد حفظ النسل عند الشيخ حسن البنا، وكيف اعتنى به؟

الفصل السادس: مقصد حفظ المال عند الشيخ حسن البنا، وكيف اعتنى به؟

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286]

وسأكتفي هنا بذكر الخاتمة والتوصيات ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الكتاب كاملا، وقد تجاوزت صفحاته (500) صفحة.

**خاتمة وتوصيات الدراسة**

1. بعد هذه الجولة التي قطعناها في فكر الشيخ الإمام حسن البنا لانزعم أننا وفينا الرجل حقه، ذلك أننا اكتفينا بكتاب الرسائل فقط ( في طبعاته القديمة ) حتى لا يطول البحث ويخرج عن المساحة المحددة له، ولم نخرج عنه إلا في حالات نادرة جدا، والكتاب وإن كان ـ من وجهة نظري ـ أهم ما كتب الشيخ حسن البنا ، ولكنه من المؤكد أن ما كتبه في غيره يعطي فكرة أعمق عن رؤية الشيخ للمقاصد عامة.
2. أن القصد من كتابة هذا البحث هو تحريك الماء الراكد وإثارة هذه القضية، ولا شك أنها ستكون كغيرها من الأفكار مثار قبول ورفض من العلماء والباحثين، ومراجعة لما كتب الرجل، وأعتقد أن هذا في غاية الأهمية أيا كانت النتائج التي يتوصل إليها.
3. يوصي الباحث أن يقوم العلماء والباحثون بدراسة الشيخ حسن البنا بوصفه عالما شرعيا، وفقيها أصوليا مقاصديا، وليس باعتباره زعيما سياسيا وحركيا فقط؛ حتى تكتمل الصورة عن هذا الرجل، ولا يظلم من العلماء كما ظلم من الأمراء. والعلم رحم بين أهله.
4. أود أن تكون هذا الشخصية شخصية عامة وموطن دراسة الباحثين سواء أكانوا من أتباع الشيخ البنا أو من غير أتباعة، فالرجل محل إجماع لدى كثير من الناس في الدوائر العلمية وغيرها، فليكن تراثه ملكا لأمته، وليفعّل هذا التراث ويبحث له عن الأطر العملية لوضعه موضع التنفيذ، وهذه مسئولية كل العلماء وليست مسئولية جماعته، أو أتباعه فقط .
5. خطا الرجل خطوات عملية من خلال ما قام به من مشروعات محلية تعتمد على ما يدخره العامل الذي يكون شريكا في العمل ينال من ربحه بالإضافة لما يأخذه من راتب، ولو توسعنا في هذه المشروعات الصغيرة أو المتوسطة، لكان لنا شأن آخر بين الأمم .

وهذه المشروعات وإن كانت صغيرة، بيد أنه يظهر فيها فقه الأولويات، ومراعاة الجانب المقاصدي من تنمية المال واستثماره، والترتيب الصحيح للضروريات والحاجيات والتحسينيات.

1. ركز الإمام البنا ـ رحمه الله ـ على أمرين غاية في الأهمية وهما :
2. التخلي عن الغطاء الذهبي للنقود، وهذه مشكلة المشاكل في العالم كله بصفة عامة، والعربي والإسلامي بصفة خاصة، بعد أن استطاعت الدول الرأسمالية الكبرى أن تلغي هذا الغطاء الذهبي وتستبدل به أشياء أخرى حتى تحكم سيطرتها وهيمنتها على الشعوب العربية والإسلامية، وقد حذر علماؤنا في الماضي والحاضر من مغبة التخلي عن غطاء الذهب.
3. الأمر الثاني : سيطرة الشركات الأجنبية، وهيمنة رأس المال الأجنبي على الاقتصاد المحلي، وهذا ما نعاني منه الآن ونستطيع أن نقول إن الشعوب العربية والإسلامية قد استبدلت بالاستعمار السياسي الاستعمار الاقتصادي، وهو لا يقل خطرا عن الاستعمار السياسي، بل إن الاستعمار السياسي يحفز الشعوب ويحثها على الثورة والانتفاض للتخلص من المستعمر، لكن الاستعمار الاقتصادي يضمن للمستعمر إحكام السيطرة والهيمنة على الشعوب فلا تقوى على شيء.
4. نريد لهذه الأفكار الموجودة في كتابات الإمام البنا ـ رحمه الله ـ وغيره ممن كتب عنه بالشرح أو التأصيل أن تأخذ طريقها للتطبيق العملي، وأن تكون أمام أصحاب القرار في العمل الجماعي خاصة، والعمل للإسلام بصفة عامة، حتى لا نكون من هذا الفريق الذي عاتبه الله تعالى في كتابه الكريم فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:2- 3].
5. هناك مساحات من فكر الإمام البنا ـ رحمه الله ـ تحتاج إلى بحث ودراسة، خاصة الجوانب الفقهية والشرعية في رسالة التعاليم وغيرها من الرسائل، وهذا واجب العلماء الشرعيين عامة، والمنتسبين إلى جماعة الإخوان المسلمين خاصة.
6. نود أن يرفع الحظر عن كتابة الرسائل العلمية عن هذا الرجل، ونتخلص من عقد الماضي، ليتحول الرجل إلى مشروع سياسي ودعوي وشرعي تستفيد منه الأمة العربية والإسلامية، ولو كان هذا الرجل عند غيرنا لاستفادوا وأفادوا منه فوائدة جمة.
7. نود أن يستقل البحث العلمي في عالمنا العربي والإسلامي عن الهيمنة الأمنية التي لا يمكنها بحال أن تنهض بالبحث العلمي، ولا يمكن للبحث العلمي أن ينهض تحت رقابتها وسيطرتها.
8. نوصي الكتَّاب في الفقه والشريعة بكافة فروعها ألا يغفلوا التعريفات المقاصدية، وأن يولوا حكمة التشريع ما تستحقه من العناية، وألا نقف عند حد التعريفات اللغوية والاصطلاحية وحدها، فهي على الرغم من أهميتها في البحث العلمي، فإنها في الغالب لا تعطي تصورا عن حكمة التشريع، ولا تخاطب الروح والنفس الإنسانية.

والحمد لله أولا وآخرًا وظاهرا وباطنا والحمد لله أبدًا أبدا.

1. () خذ مثلا على ذلك الإمام ابن حزم الظاهري ـ رحمه الله – يحتفي به الأسبان ( الأندلسيون سابقا) على الرغم من عدائهم للإسلام، ونظرهم للمسلمين على أنهم كانوا يحتلون ديارهم، لكنهم يرون في الرجل وإن كان مسلما إضافة لحضارتهم على المستوى الإنساني فيفخرون به ويحتفلون به حتى يوم الناس هذا! [↑](#footnote-ref-1)
2. () مجموعة الرسائل 68- 69. [↑](#footnote-ref-2)